

آليات صناعة الأطلس اللساني

Mechanisms of making the linguistic atlas

د. عمر شادلي⁽¹⁾

المركز الجامعي الشريف بوشوشة آفلو، (الجزائر)

البريد الإلكتروني: a.chadli@cu-aflou.edu.dz

د. زهور شتوح⁽²⁾

جامعة باتنة 1، (الجزائر)

البريد الإلكتروني: zhour.chettouh@univ-batna.dz

تاريخ النشر: 2025/06/07

تاريخ القبول: 2025/05/27

تاريخ الإرسال: 2024/12/30

الملخص :

استعارت اللسانيات من الجغرافية فكرة صناعة الأطالس، كما أخذت منها أيضا قضية تحديد مواضع الحدود اللغوية واللهجات، وتعيين حدود كل لغة أو لهجة ووضع الحدود بين اللغات واللهجات في خرائط افتراضية توضح وتسجل عليها أهم الظواهر اللغوية ومميزاتها، ويسعى البحث إلى ملامسة مصطلح الأطلس اللساني وتبيان أهميته وأنواعه، وكذا تحليل فكرة عمل الأطلس اللغوي، عند الغرب وبعض الدراسات على المستوى العربي.

الكلمات المفتاحية: لسانيات _ جغرافيا _ لسانيات جغرافية _ أطلس لساني _ لهجة _ لغة.

الملخص باللغة الأجنبية :Abstract:

It was all taken by the linguistics from the science of geography the ideas of making atlases, and clarifying the position of the linguistic boundaries of the different dialects, showing the uniqueness of each dialect and distinguishing between languages in maps on which the different linguistic phenomena are recorded.

The study seeks to recognize the idea of how the Linguistic Atlas of the West works and so do some studies at the Arab level.

Keywords: linguistics, geography, geographic linguistics, linguistic atlas, dialect , language.

مقدمة:

يعدّ جمع اللّغة و تصنيف المعاجم أمرا قديما في التّراث العربيّ ظهر منذ اهتمام اللّغويين بجمع المادّة اللّغويّة و تمييز أصيلها من دخيلها و مألوفها من غريبها و قديمها من محدّثها ، و قد أثر عن الكسائيّ قديما أنّه كان رحّالة في جمع اللّغة و البحث عن مادّتها من مضاربها الأصليّة ، و وضع شروطا لجمع اللّغة الأصليّة بحيث اقتصر ذلك على القبائل المتواجدة في قلب الجزيرة العربيّة دون الأخذ عن تلك المتاخمة على حدود الفرس و الرّوم معا .

و قد تطوّر البحث في اللّغة و جمع مفرداتها مع العصر الحديث حيث ظهر ما يعرف بصناعة الأطلس اللّغويّ ، هذه الصّناعة التي تنبّأها ما يعرف بعلم اللّسانيّات الجغرافيّة ، و اشتغل لأجلها من حيث التّركيز على توزيع مناطق انتشار اللّغات و اللّهجات المتفرّعة عنها في مناطق مختلفة من العالم ، فهو علم يجمع بين البحث في المادّة اللّغويّة من ناحية ، و بين الاهتمام بعلم الجغرافيا من ناحية ثانية .

1- اللسانيّات الجغرافية:

إن إدراك توزيع اللغات الإنسانيّة في العالم من حيث حدودها وانتشارها وكذلك معرفة عدد المتكلمين بكل لغة، و جنس البشر المتكلمين بها و مواطن استعمالها، من أهم الدراسات العملية للسانيّات التطبيقية، ولما كانت الحاجة ملحة لدراسة هذا النوع من المعرفة ظهر علم خاص يدعم هذا الجانب، ويحاول تطوير مباحثه ضمن وظائف محدّدة وُسم باللسانيّات الجغرافية (اللغويات الجغرافية/ علم اللغة الإقليمي)، الذي يشترك في البحث فيه علم اللغة من جهة، و علم الجغرافيا من جهة ثانية، وهو علم من علوم اللغة المعاصرة، ويشتغل متخصصوه على البحث في تقسيم اللغات واللهجات وفق معطيات جغرافية، كما يجد الباحث في هذا المجال أنه علم يبحث في توزيع اللغات واللهجات أو انتشارها، وكذا التّقيب في الفروق بينها، ومن اهتمامات هذا العلم أيضا دراسة اللغات من حيث توزيعها الجغرافي السكاني، أو اللهجات التي يتكلمها السكان في منطقة محدّدة، كدراسة لغتين متجاورتين للوقوف على كيفية تأثير إحداها في الأخرى في الجوانب النحوية أو النطقية أو المفرداتية...إلخ.

و يلاحظ تداخل منهجيّ بين اللّسانيّات التّطبيقيّة من ناحية و بين اللّسانيّات الجغرافيّة من ناحية ثانية ، من حيث كونها قائمة على المنهج العلميّ الذي يعتمد ملاحظة الظواهر اللّغويّة و وصفها و من

ثم اعتماد النتيجة النهائية التي لا تخل من اعتماد أيضا على المنهج المقارن في محاولة التمييز بين الظواهر اللغوية بناء على توزيعاتها الجغرافية المختلفة ، و ذلك هو صميم عمل الأطلس اللغوية في الغالب .

وعلم اللغة الجغرافي **Géolinguistics** يحاول أن يدرس الوضع الحالي للغات العالم، ويقارن متخصصو هذا الفرع المعرفي بين اللغات كعدد المتكلمين، والتوزيع الجغرافي للغات العالم، وكيف نستفيد منها، وكذلك التركيز على أهميتها الثقافية والعلمية والسياسية والإستراتيجية، ومن هنا تظهر أهمية هذا العلم المتشعب الأهداف وكيفية الاستفادة منه في مجالات عدة.

وهناك صلة وثيقة بين اللسانيات المعاصرة وعلم الجغرافيا فقد حاول علم اللغة -منذ منتصف القرن العشرين أن يقتضي طرق علم الجغرافيا لوضع الحدود للغات واللهجات باختلافها في شكل خرائط تؤثر على معالم كل لغة أو لهجة، وتضع الفوارق بين لغة وأخرى، ولا نجد اختلافا بين هذه الخرائط و الخرائط الجغرافية إلا في قضية أن الذي تتناوله هو ظواهر لغوية فحسب. وهذه الخرائط اللغوية تساعد القارئ على معرفة الجزئيات التي تصنع الفروق في الأصوات والملفوظات، بين تلك اللغات، وبهذا تكون اللسانيات الجغرافية أداة لمعرفة أو إدراك تمظهرات التنوع اللغوي واللهجي حصرا.

ويهتم هذا العلم بالتأسيس للأطلس اللغوية، وهي قضية معاصرة وإن وجدت قديما لكن دون تأسيس وتخصص، ويجد الباحث في موروثنا في الدرس اللغوي مادة كثيرة وذات قيمة تحوي الإشارة إلى الفروق اللهجية العربية دون التركيز على جانب الفصاحة فيها، وقد حاولت اللسانيات المعاصرة أن تفيد من علم الجغرافيا فكرة عمل الأطلس، وأخذت من الجغرافيا طرائق تبيان مواضع الحدود اللغوية الفاصلة بينها ، وكذلك تحديد معالم كل لغة أو لهجة، ووضع الحدود بين اللغات في شكل خرائط تسجل عليها أهم المواقع اللغوية المختلفة -إن صح التعبير- والتي تؤثر على أدق الاختلافات في نطق الأصوات والملفوظات وتبين حدود التداخل بين اللهجات واللغات على اختلافها.

و بما أن للجغرافيا دورا في ردف علم اللسانيات الجغرافية بصناعة الأطلس اللغوي فإن ذلك يحيل أيضا على فروع مهمة فيه كعلم الخرائط و علم المساحة و الأبعاد بين الأقاليم المختلفة ، و قد يرتبط أيضا بعلم اللسانيات التاريخية من حيث التركيز فيها على التطور اللغوي و اللهجي عبر العصور المختلفة التي تعكس اختلاف اللغات و اللهجات في جغرافيا العالم المترامي الأطراف .

2. الأطلس اللغوي/ اللساني:

من خلال مصطلح الأطلس تظهر الخاصية العلمية لهذا الموضوع ، خاصة إذا تم حصره أكثر في جانب اللغة و اللسانيات ، حيث تتجلى المنهجية الوصفية و المقارنة معا جنبا إلى جنب ، طالما

هناك دراسة تشمل أماكن انتشار اللغات و اللهجات و كذا توزيعها عبر تلك المناطق التي تحوي شعوبا مختلفة و مجتمعات متباينة في عاداتها و تقاليدها و أنماط حياتها .

و قد أشار "سعد مصلوح" في مقالة له بعنوان " من الجغرافية اللغوية إلى الجغرافية الأسلوبية" إلى أن وسم اللساني هنا - عن الأطلس اللساني- «يعني النسب إلى العلم والمنهج» (مصلوح، 1994، ص:17) في حين أن نعتة باللغوي ينصرف إلى الظاهرة المدروسة في الكلام أو اللغة المعنية، ويردف قائلا: "ومن ثم فإن الأطلس اللساني اسم جامع ينسب به الأطلس إلى اللسانيات، ويندرج تحته جميع الأطالس، والمراد بالأطلس -هنا- هو مجموع الخرائط الخاصة بالميدان اللغوي الذي نريد تحديده، لذلك يتوجب توزيع تنويعات المادة اللغوية المجموعة بالنظر لانتماءاتها المكانية من جهة والاجتماعية من جهة مقابلة.(المرجع نفسه، ص:17)

والأطالس اللسانية تمثل منهجية معاصرة لتوثيق الظواهر اللغوية المختلفة وفق خرائط تشبه إلى حد كبير الخرائط الجغرافية، ويكون ذلك لدى رغبتنا في تعيين أو تحديد مناطق تلك الظواهر وبهذا تكون الخريطة إحدى وسائل الإيضاح للظاهرة اللغوية التي لها علاقة بمكان معين، والأطالس اللغوية تساعد علماء اللغة على معرفة تمركز اللغات في العالم، وما هو قيد الاستعمال منها من عدمه، وما يحصل فيها من تغيرات أو استبدالات في مناطق محددة، ولصناعة أطلس لغوي لا بد من تكليف جامعي المادة اللغوية المراد جمعها بالوصول إلى الأماكن أو الأقاليم محل الاختيار بغية رسم حدود لعمل خريطة لها، مع الاستعانة بصفة أساسية وهي راو يمثل المتكلمين المحليين، ويتم جمع المادة التي ينطقها الراوي اللغوي إما عن طريق الكتابة الصوتية أو من خلال التسجيل على جهاز التسجيل أو تستخدم الطريقتين معا، وللجغرافية اللغوية مظهران : مظهر تسجيلي غايته جمع المادة، وتوزيعها على خريطة الميدان ورسم خطوط التوزيع الفاصلة والواصلة بين النقاط السكانية التي يشملها الميدان المدروس ، ومظهر تحليلي غايته تأمل المادة المجموعة بعد تسجيلها واستنتاج خطوط التوزيع لاستكناه دلالتها وتشخيص الفروق والتنوعات اللهجية وتمييز الكيانات اللهجية.(مصلوح، 1994، ص:16)

و لا يقتصر الأمر على الملاحظة الوصفية المحايدة و على طريقة الجمع للمادة اللغوية فحسب ، بل قد يتعداه أيضا إلى جانب تفصيلي متمثل في الشرح و التفسير و الاستدلال للمفردة اللغوية كما هو حال الكثير من المعاجم ، إلى درجة تصل إلى حد مدارسها كمبحث من مباحث فقه اللغة بعد أن كانت الغاية إليها مقتصرة على البحث و الجمع و التصنيف فحسب .

فلهذا العلم كبير الأثر في الدراسات اللسانية المعاصرة تتمثل في محاولة تسجيل الوقائع اللغوية للغات واللهجات على خرائط تجمع في أطلس لغوي عام، وتختص كل خريطة بكلمة فتسجل عليها

الاختلافات الممكنة للكلمة الواحدة، سواء أكانت هذه الاختلافات صوتية أي خاصة بأصوات اللفظ وحركاته ونبره وطريقة النطق به أم كانت صرفية تتناول صيغة اللفظ وبنيته، ولا يتعلق الأمر بالجانب الصوتي والصيغي فقط للغة بل تتعداها إلى الجانب المفرداتي يقول "عساكر": «كما تسجل على الخريطة المترادفات الواردة للمعنى الواحد الذي قد يعبر عنه بلفظ خاص يختلف باختلاف القرى والمدن والأقاليم». (عساكر، د.ت، ص، 385)

وبعد إتمام الأطلس اللغوي يصبح مرجعا لغويا هاما للباحث اللغوي: فيمده بالمعطيات التي يريدها عوضا عن الخروج بنفسه، ومحاولة التنقل إلى الحقل اللغوي في المكان موضوع بحثه، وقد يصير نزول اللغوي ضروريا مع وجود الأطلس اللغوي في حالة وجود مشاكل خاصة (ماريو باي، د.ت، ص: 133)، ولا تقف فائدة الأطلس اللغوي عند هذا الحد فحسب بل تذهب إلى أبعد من هذا وذلك بإسهامها في معرفة ثقافة لغة الأمم وكذا تطورها زمكانيا؛ لأن اللغة وما يتصل بها من لهجات مختلفة - كما هو معروف - هي أبرز أدوات التواصل الإنساني، عليه فهذه المعرفة لا تتطوي على فوائد لغوية فحسب بل إنها تقيد علوم أخرى كالتاريخ وعلم النفس وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا (الوعر، د.ت، ص: 190)، وبهذا يعتبر الأطلس اللغوي نوعا من العرض الجغرافي للغة ما، ويعمل أيضا هذا العلم على دراسة حياة اللغات واللهجات معا وحركية تطورها والتغيرات التي يمكن أن تطرأ عليها، ويرى (عساكر) أنه «لا شك في أن التشابه الذي يوجد بين عدة بلاد أو عدة مناطق في طريقة حديثها، وفي ألفاظها وتعبيراتها لم يأت عفوا ولكنه يشير إلى ماض مشترك، وإلى مراحل تاريخية واحدة مرت على هذه البلاد المتشابهة لغة وتعبيرا» (عساكر، د.ت، ص: 379)، وتأسيسا على ما سبق يمكننا القول بأن الأطلس اللغوي هو نوع من المسح الجغرافي للغات واللهجات وأماكن انتشارها وحدود ذلك الانتشار.

فهو بذلك يمكن اعتباره من الدراسات البينية التي تشغل على علم مستقل و هو الجغرافيا ، و علم آخر مستقل أيضا و هو علم اللغة و بدرجة أخص علم المعاجم و فقه اللغة .

3. أصناف الأطالس اللغوية :

وضع العلماء ثلاثة أنواع من الأطالس هي:

أطلس اللهجات **Dialect Atlas**: ويشتمل على خرائط لتوزيع التنوعات اللهجية على الميدان في إطار اللغة الواحدة.

أطلس اللغات **Atlas of language**: ويشتمل هذا الأطلس على خرائط التوزيع الجغرافي للغات المختلفة، ولهذه الأطالس أهمية كبيرة في مناطق التداخل اللغوي **language overlapping** ومناطق التماس اللغوي **language in contact**.

الأطلس الأسلوبى **Stylistic Atlas** وهو نوع من الأطالس اللسانية كان حقه أن يوجد فلم يوجد على حد تعبير "سعد مصلوح"، ولما يحظ بما هو حقيق به من العناية ويعمل هذا النوع على استقصاء مظاهر التنوع الأسلوبى باعتبار المكان وباعتبار أضرب القول: القانونية والدينية والعلمية والرسمية... إلخ، ويقع ذلك كله تحت مقولة التشكيل الأسلوبى. (مصلوح، مرجع سابق، ص: 17)

و من خلال تنوع الأطالس هذا يظهر أن لعلم الأصوات دوره البارز في أطلس اللهجات، و لعلم المعجمية دوره كذلك في أطلس اللغات و للمنهج الأسلوبى و البلاغى دوره أيضا في الأطلس الأسلوبى.

4. أهمية الأطلس اللغوى للغة العربية بصفة خاصة:

أشار الباحث السويسري "شتيجر" **Steiger** المتخصص في مجال الأطالس اللغوية للأهمية الكبيرة لتلك الأطالس اللغوية وأهميتها للغة العربية وبرى أن استحداث أطلس لغوي للغة العربية سيحدث ثورة في كل الدراسات الخاصة بفقه اللغات السامية لأنه سأكمل من غير شك الدراسات التي تعتمد على النصوص القديمة بكشفه عن التطورات المتعلقة باللهجات وباللغات الشعبية العصرية، وسيكون لهذا الأطلس الفضل في إطلاعنا على تاريخ علم الأصوات والتغيرات التي أصابت اللغة العربية في الأماكن المختلفة التي غزتها وعن مدى انتشارها وتأثيرها بالمراكز الثقافية وتنوع مفرداتها إلى غير ذلك من المكتشفات لا يمكن أن تتم إلا إذا جمعت هذه المواد؛ إنه سيكون عملا ثقافيا من الطراز الأول وسيكون تحقيقه عنوان مجد وفخار في تاريخ الثقافة العالمية (عساكر، د.ت، ص: 379، 380)، ويمكننا أن نجتمع أهم الفوائد العلمية لوضع الأطالس اللغوية فيما يلي: (بن عبد الحميد، د.ت، ص: 32)

- يساعد على دراسة اللغات ومعرفة أهم خصائصها.
- يمكننا من معرفة علاقة اللهجات باللغة الفصحى، وكذا معرفة القديم منها للربط بينه وبين الجديد، وما هو حديث عهد بحياتنا اللغوية فنحاول تقريبه من الفصحى.
- استقصاء مظاهر التنوع اللغوي بالاعتبار المكاني وتوزيعها على خريطة الميدان المدروس.
- تقديم المادة اللغوية المطلوبة للدراسات اللغوية التاريخية والمقارنة.
- له دور في إثراء العلوم اللغوية بعلوم جديدة مصاحبة لها فيما بات يعرف اليوم بالدراسات البيئية التي تجمع في ذاتها أكثر من حقل معرفي واحد، كعلم الاجتماع مع علم الأدب، و كالعلوم الإنسانية مع العلوم الشرعية و هكذا ..

5. بداية الاشتغال على الأطالس اللغوية :

لقد تزامن ازدهار صناعة الأطالس اللغوية مع زمن الحداثة الذي شهد ثورة علمية و تقنية في شتى المجالات و اختزلت المسافات بسبب تطور وسائل الاتصال والنقل المختلفة نتيجة لتطور

المواصلات بدرجة غير مسبقة ، و أبرزها الطائرة التي عدت معجزة القرن العشرين كما يقال ، لأن الإنسان سافر عبر الماء منذ قرون و سافر عبر البر منذ قرون لكنه لم يطر إلا في القرن العشرين ، و لا يخفى أثر هذا الاختراع في ظهور ابتكارات جديدة كالأقمار الصناعية و دورها في تطوّر علوم الإعلام و الاتصال معا .

و يبدو أن بدايات التفكير في عمل الأطالس اللغوية كانت في النصف الثاني من القرن الماضي، وكان من رواد هذا المجال البحثي كل من "فنكر" **wenker** و"جبيرون" **Gillieron**، وقد قام كل من الباحثين بعمل أطلس لبلاده كتب لأحدها الظهور بينما لم يعرف الثاني ذلك، والسبب في ذلك كما يرى "عساكر" أن الخريطة في الأطلس الفرنسي تجسد من البلدات والنواحي ما بين ثلاثمائة جهة وستمائة وأربعين جهة، على حين تصور الخريطة في الأطلس الألماني خمسين ألف ناحية أي أن النقط في الأطلس الألماني أشد كثافة منها في الأطلس الفرنسي (عساكر د.ت، ص:380)، وبهذا كتب للأطلس اللغوي الفرنسي الظهور بين عامي 1902_1910م وعنوانه **Atlas linguistique de la France**، بينما كان لشساعة المساحة كبير الأثر في تأخر ظهور الأطلس الألماني وأن نشر جزء كبير منه فقد نشرت الدفعة الأولى منه، وكانت مكونة من ست خرائط في عام 1881م، ومنذ عام 1926م، أخذت طباعة الخرائط تتوالى على نطاق ضيق، تحت إشراف "فريده" **wrede** .(عبد التواب، 1997، ص:151) وقد عرفت فكرة عمل الأطالس اتساعا وشيوعا منذ ظهور الأطلس الفرنسي سنة 1906م (عساكر، مرجع سابق، ص:380)، في كل من سويسرا مع الأستاذان "يابرج" **jaberg** و"يود" **Jud**، والسويد والنرويج وإنجلترا والبرتغال ثم انتقلت إلى أمريكا وبعض البلدان الشرقية، ولعل الأستاذ "عساكر" خير من حصر عمل الأطالس اللغوية التي طبعت أو التي أعدت ولم تطبع بعد على الشكل التالي:

« 1- الأطلس اللغوي لفرنسا، نشره الأستاذ "جيرون" 1906.

2_ الأطلس اللغوي للبلاد الألمانية والنمساوية وقد قام بعمله "فنكر" ثم "فرده" ونشرا منه حوالي أربعين خريطة لبعض أقاليم ألمانيا فلم يطبع حتى الآن.

3_ الأطلس اللغوي لإيطاليا وجنوب سويسرا نشره الأستاذان "يابرج" و"يود" سنة 1928، ويقع في ثمانية مجلدات.

4_ أطلس لغوي لرومانيا، طبع منه ثلاثة أجزاء قبل بدء الحرب الماضية.

5_ أطلس لغوي لقطونيا وهو مطبوع.

6_ أطلس لغوي ممتاز للبلاد الهولندية (مطبوع)

7_ أطلس لغوي لكورسيكا، أوشك طبعه أن يتم.

8_ أطلس لغوي لأمريكا الشمالية، صدر منه الجزء الأول الخاص بولاية نيو إنجلند.

9_ أطلس لغوي صغير لسوريا ولبنان وفلسطين، نشره الأستاذ المستشرق "برجشترسر Bergstrasser سنة 1915

10_ أطلس لغوي للقسم الألماني من سويسرا، يوالي العمل فيه ويعدّه الآن للطبع الأستاذان "هوتسكيرلي" و"بومجارتتر". (عساكر، المرجع نفسه، ص: 380، 381)

6- الأطلس اللغوي وطريقة عمله:

توجد طريقتان لعمل الأطلس اللغوية هما: الطريقة الألمانية والطريقة الفرنسية، وفيما يلي وصف للطريقتين:

6-1- الطريقة الأولى (الألمانية):

اخترع هذه الطريقة العالم الألماني (فنكر) حيث ألف أربعين جملة تمثل أهم ما يجري على ألسنة الناس بشكل يومي في بلاده، وطبعها على شكل استمارة بها بيانات خاصة، وقد أرسلت هذه الاستمارات إلى الجهات المختلفة في ألمانيا والتي بلغت حوالي الخمسين ألف جهة بصفة رسمية، وعلى نفقة الحكومة الألمانية. (عساكر، ص: 382)

وهذا أنموذج من الاستمارة التي تحوي على بيانات بعد تعديلها بما يوافق اللهجات العربية، أما الجمل الواردة فهي نماذج مترجمة عن الأصل الألماني: (عساكر، المرجع نفسه، ص: 381، 382)

صحيفة أسئلة لغوية خاصة باللهجات العربية الحديثة

الجهة التي سمعت فيها اللهجة العربية وسجلت: المركز: المديرية:

الراوي اللغوي الذي نقلت عنه اللهجة	المسجل اللغوي الذي سمع اللهجة ودونها
الاسم:	الاسم:
السن:	السن:
المهنة:	المهنة:
محل الميلاد:	محل الميلاد:
الجملة في اللغة العربية الفصحى	الجملة في اللهجة العربية الحديثة
تسقط أوراق الشجر في الشتاء وتتناثر في الهواء.	
ضع شيئاً من الفحم في الفرن حتى	

	يغلي اللبن. كانت النار قوية حتى لقد احترق الفطير واسود من شدة الاحتراق. إنه يأكل البيض دائما بغير ملح أو فلفل. تؤلمني قدمي ألما شديدا، والظاهر أنني سرت أكثر مما يجب. نحن ظماء متعبون. ألا يمكنكم الانتظار لحظة حتى نذهب معكم؟ لقد خرجت الكلمة من قلبه. إلى آخر الجمل الأربعين.
--	---

ويلاحظ أن من قام بتسجيل تلك اللهجات من أفواه الرواة مباشرة وعمدوا إلى تدوينها هم في أغلب الأحيان من معلمي المدارس الأولية وذلك لمعرفةهم بأحوال القرى التي ينزلون فيها واتصالهم بأهلها عن كثب، ثم لثقافتهم التي أهلتهم لتسجيل النطق وتصويره كتابيا (عساكر، المرجع نفسه، ص:382)، وذلك تقاديا لأي خطأ أو هفوة قد تلحق بالتسجيل وتضعفه.

وينتقل العمل بعد فترة جمع الإجابات من الرواة وتسجيلها إلى وضع خريطة لكل لفظ على حدا لأن تفرع صور اللفظ وصيغه ومترادفاته على خرائط تفصيلية تشتمل على بلاد الإقليم جميعها ثم تحدد عليها المناطق اللغوية المختلفة (عساكر، المرجع نفسه، ص:382) ليتم بعد هذا رسم الخريطة العامة من خلال الاسترشاد بالخرائط المفصلة، ويتم في الخريطة العامة توضيح الحدود النهائية للمناطق اللغوية .

و هنا يتجلى أثر علم الخرائط كأحد أهم فروع علم الجغرافيا، رغم التنوع الذي يميزها كالجغرافيا الطبيعية و الجغرافيا السياسية و الجغرافيا الاقتصادية و الجغرافيا اللغوية، هذه الأخيرة التي هي مدار بحثنا هذا، لها علاقة أيضا بالخرائط اللغوية كجانب وصفي و بالخرائط اللغوية التاريخية كجانب تطوري لصيغ المفردات و التراكيب عبر عصور مختلفة في أماكن متفرقة .

ولعل أهم المآخذ المسجلة على هذا المنهج في عمل الأطالس نذكر: (مصلوح، 1976، ص:110، 109)

- قلة المعطيات الصرفية و المعجمية في المادة المجموعة .

- لم يمتد العمل الميداني إلى عدد من الأجزاء الهامة في المنطقة الألمانية مثل هولندا، سويسرا و ترانسلفانيا.
- لم يكن جامعو المادة اللغوية على درجة كافية من الكفاءة والتدريب تجعلنا ننق ثقة كاملة بهذه المادة.
- كان تدوين الجمل بالكتابة الإملائية العادية، ومعلوم أن هذا النوع من الكتابة لا يعطينا صورة دقيقة للخصائص اللغوية.
- أنه لم يتم نشره، فلقد نشرت الدفعة الأولى منه وكانت مكونة من ست خرائط عام 1881، ومنذ عام 1926 وهذه الخرائط تظهر مطبوعة على نطاق ضيق تحت إشراف "فرده wrede".
- ولعل ما يحسب للأطلس الألماني أنه كان مرجعا ونقطة بداية وجدت صدى كبيرا في فرنسا مع جيبرون.

2.5. الطريقة الثانية (الفرنسية) :

هي الطريقة السائدة باعتراف أغلب الباحثين تقوم على أساس عمل خريطة للإقليم المراد عمل أطلس له، ويتم اختيار مناطق أو أحياز جغرافية يلاحظ في كل منها "أن تمثل إلى حد ما البيئة اللغوية التي توجد البلدة أو القرية فيها، وقد بلغ مجموع هذه البلاد في أطلس إيطاليا حوالي أربعمئة بلدة" (عساكر، مرجع سابق، ص:382)، وقد حاول (جيبرون) واضع الأطلس الفرنسي تجنب العثرات التي وقع فيها الأطلس الألماني، وقد ركز في المناطق التي بحث فيها على نطاق انتشار اللغة الفرنسية كفرنسا وسويسرا وإيطاليا وبلجيكا وقد تم الجمع اللغوي بناء على كراسة استفتاء لغوي **Questionnaire** أعدها (جيبرون) تدور حول ما يقرب من ألفي كلمة وجملة (مصلوح، مرجع سابق، ص:119)، وقد عمد هذا العالم -في إعداد هذه الكراسة- إلى جمع الملفوظات وكذا التعبيرات الشعبية التي تتمحور حول الطقس والمناخ والمعادن والدين، وعلاقات القرى والعلاقات الإنسانية والنقود والأزياء وغيرها، ثم قام بجمع ما اتصل بها من مواد لغوية على نحو منظم ومرتب "فإذا تم ارتياد المدن والقرى المعينة على الخريطة التي وضعت أساسا للعمل جمعت صيغ اللفظ ومرادفاته في البلاد المختلفة وأخذ في دراستها وترتيبها تمهيدا لوضعها في شكلها النهائي وصورتها الأخيرة على الخريطة" (بن محمد الحميد، مرجع سابق، ص:242)، ولا بد أن تكون الأسئلة الواردة في الاستفتاء اللغوي مرتبة بشكل موضوعي حيث يختص كل جزء من الأطلس بموضوع معين أو بعدة موضوعات وبهذا يراعى في الأسئلة ما يلي: (عبد التواب، مرجع سابق، ص:154)

أن يكون موضوعها شاملا بحيث يضم أهم الأشياء التي تقع عليها أعيننا سواء في المدن أو في الأرياف.

يجب أن تحتوي على أغلب الألفاظ الشائعة في الحياة اليومية.

يكون ترتيب الأسئلة بطريقة موضوعية بعيدا عن الذاتية، فيُجعل لكل قسم من الأطلس موضوع أو عدة موضوعات.

ومن أمثلة الموضوعات في الأطلس اللغوي لإيطاليا: (عساكر، مرجع سابق، ص: 383، عبد التواب، مرجع سابق، ص: 154)

أسماء الأهل وذوي القربى كالعم والخال والأخ والأخت وغيرهم، أطوار العمر والميلاد والزواج والموت وما يتعلق به، جسم الإنسان وصفاته من طول وقصر وبدانة ونحافة وغيرها، أسماء الصناعات والصناع، النقود والتجارة والأعداد، الوقت وأقسامه، الأرض والمعادن، الأجرام السماوية والظواهر الجوية والأشجار والأزهار، الملابس والأقمشة والغزل والنسج والحياسة والغسل وغيرها.

و تحليل هذه الطريقة في الجمع على طرق اللغويين العرب القدامى في الجمع اللغويّ مثل الأصمعي، إلا أنها تأتي في كتب مستقلة و ليس في أطلس جامع ، حيث أورد الأصمعي ما يلي :

- الإبل
- الخيل
- السلاح
- الشاء
- مياه العرب
- النباتات و الشجر
- النحلة
- الوحوش

وقد قام بعملية الجمع اللغوي للأطلس الفرنسي الباحث "أدمون" E. Edmont وكان عالما صوتيا مدربا، طاف أنحاء فرنسا بين سنتي 1896 و 1900 وفي هذه الفترة الزمنية القصيرة نسبيا استطاع أن يجمع مادة لغوية كبيرة لأطلسه. وقد وضع الأطلس الفرنسي شروطا في الشخص الذي توجه إليه الأسئلة، أو ما يمكن أن نطلق عليه اسم (الراوي اللغوي)؛ هذا الأخير الذي يجب أن يراعى في اختياره: (عساكر، مرجع سابق، ص: 383)

يجب أن يكون الشخص المختار من أبناء البلدة التي يعيش فيها، فلا يقبل النازح عنها إلى غيرها ثم العودة إليها وذلك تجنباً لتأثر لهجته الخاصة بمؤثرات خارجية.

صراحة العينة المختارة وصدقه وإخلاصه في الإجابة على ما يوجه إليه من أسئلة، ولا يخفي شيئا.

سلامة مخارج حروف الشخص المختار.

أن يكون تام القدرة على فهم السؤال والتعبير عن نفسه وعلى إدراك المراد إدراك يقظ خبير فطن. وبهذا يتمكن الراوي من تمثيل بلدته أو منطقته تمثيلاً لغوياً صائباً وبعدها يصور الرائد اللغوي المدرب (صوتياً ولغوياً) ما يراه غريباً غير مألوف في البلاد التي يزورها وعلى المسميات التي طالها التغيير كأسماء الملابس والأزياء والأدوات المنزلية والآلات الزراعية والصناعية وأن يسجل أسماءها المختلفة لأن الكثير من هذه الأشياء يخضع للتغيير المستمر بسبب تقدم وتطور الحياة والعلم.

ويمكن أن نلخص مزايا الأطلس الفرنسي في الآتي: (مصلوح، مرجع سابق، ص: 111) كفاءة الباحث الميداني الذي قام بالجمع اللغوي.

ضبط المادة المجموعة عن طريق تدوينها بالرموز الصوتية الدولية.

تنوع المادة المجموعة نظراً لاتباع وسيلة كراسة الاستفتاء اللغوي **Questionnaire** الاطمئنان إلى نوعية الرواة المنتخبين بالرغم من تحكم العامل الذاتي في اختيارهم. إتمام نشره كاملاً، وهذه في رأي "ليمان" فضيلته الكبرى.

عيوب الأطلس الفرنسي:

على الرغم من المميزات التي تفرد بها الأطلس الفرنسي عن نظيره الألماني إلى أنه قد سجلت عليه المآخذ التالية: (المرجع نفسه، ص: 111)

"قلة عدد النقط الناتج عن تحكم عنصر الاختيار فيها ترك ثغرات بين النقط التي جرت فيها الدراسة، وهو ما سماه "بلومفيلد" انحلال شبكة خطوط التوزيع، والواقع أن قيمة الخريطة تعتمد اعتماداً كبيراً على كمال علاجها للهجة المحلية التي سجلها، فبقدر ما تتشابك الخيوط تكون القصة كاملة. الاعتماد على باحث ميداني واحد مهما تكن كفاءته قلل من عدد النقط التي تم فيها الجمع اللغوي، وقلل عدد الأيام التي مكثها في كل نقطة".

وعلى الرغم من هذا فقد صار الأطلس الفرنسي نموذجاً يحتذى به من حيث مقوماته وأسسها العامة في عديد المشروعات اللاحقة نتيجة ما حققه من حيث الدقة في الجمع والتسجيل.

وما يمكن تقديمه من ملاحظات حول طريقة عمل الأطلسيين أن الطريقة الألمانية تمتاز بالشمول « لأنها لا تترك جهة إلا ذكرت رواية اللفظ فيها» (عساكر ، مرجع سابق ، ص: 383) إلا أنها غير مباشرة، في حين أن الطريقة الفرنسية تمتاز بالدقة لأن الرواد اللغويين الذين يقومون بجمع الأطلس «قد دربوا التدريب الكافي في الناحيتين اللغوية والصوتية وبذلك يعتبرون ثقة فيما يدونون عن الرواة اللغويين» (المرجع نفسه، ص: 384).

و قد يعكس ذلك أيضا طبيعة كل لغة من حيث دلالتها الفكرية العامة كأن يقال مثلا أن الألمانية هي لغة الفلسفة، و اللغة الفرنسية هي لغة الأدب و الرواية، و اللغة الإنجليزية هي لغة العلم و التقنية المعاصرة، و ذلك ما ينطبق أيضا و لو بشكل جزئي على منهجية الجمع اللغوي في كل لغة و الذي يغلب عليه جانب دون آخر.

7- بعض المحاولات العربية لصناعة أطلس لغوي جغرافي:

قدم بعض الباحثين العرب وعلى قلتهم محاولات متميزة لصناعة أطلس لغوي عربي، وقد كانت جهودهم إما خاصة بإقليم معين أو كانت أوسع من ذلك ونذكر منهم:

7-1- خليل محمود عساكر:

وهذا الباحث هو أحد أعضاء لجنة اللهجات في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وقد كلف سنة 1948م برحلة علمية من قبل كلية الآداب بجامعة القاهرة إلى منطقة الفيوم بمصر وقد دامت هذه الرحلة قرابة الشهر، قام خلالها بزيارة العديد من المدن والقرى المنتمية لها إداريا بغية وضع خارطة طريق لصناعة أطلس لغوي مصري، وعمد أولا إلى جمع مادة لغوية معتبرة من تلك المنطقة الجغرافية قصد وضع فكرة أولية عن مناطق اللهجات في الفيوم. (بن عبد الحميد، مرجع سابق، ص: 34)

7-2- أحمد عبد الله عبد ربه ياغي:

أنجز هذا الباحث رسالة دكتوراه وسمها بالملاحظات اللغوية للجغرافيين العرب: دراسة في ضوء علم اللغة، وذل هذا العمل العلمي بطائفة من الخرائط اللغوية مركزا على التبادلات الصوتية التي أشار إليها الجغرافيون، وقد وجدناه يفتح تلك الخرائط بوحدة تشير إلى أماكن تركز القبائل العربية في جزيرة العرب، ليتضح له انطلاقا منها منابع التبادلات، ولعل سبب ذلك راجع إلى أن أصولها يعود إلى القبائل العربية، وقام بتقسيم الخرائط إلى ثلاثة أصناف:

صنف خصص للخرائط الخاصة بالتبادلات الصوتية الشائعة في المناطق العربية.

وصنف خاص بالتبادلات الصوتية غير الشائعة مع انحصارها في إقليم معين.

أما الصنف الأخير فقد أفرد له لتلك الخرائط التي تشير إلى أهم التبادلات الصوتية للأصوات العربية في المناطق غير العربية.

وقد اعتمد الباحث في توزيع التبادلات على ثلاثة محاور رئيسية:

المحور الأول: وعمد فيه إلى تعيين نوع التبادل.

المحور التالي: خصصه لنسبته إلى القبائل العربية في الجزيرة العربية.

المحور الأخير: وضعه لتبيان انتشار التبادلات في الأقاليم الجغرافية التي عاينها.

وقد جاءت محاولة الباحث (أحمد ياغي) متميزة كونها تمثل جزءا من أعمال الأطلس الجغرافي إلا أنه اكتفى برسمها يدويا مع كتابة أسماء المدن والأقاليم بخط يدوي غير واضح ما صعب على القارئ قراءتها في بعض المواضع.

7-3- إبراهيم محمد الخطابي:

قدم (الخطابي) عملا علميا مهما وقد وسمه بـ"الأسس النظرية والمنهجية لأطلس لسان المجتمع العربي"، أراد من خلاله صناعة أطلس لغوي جامع للهجات العربية المعاصرة، قام فيه بجمع المعلومات اللسانية من خلال عينات لهجية محللا إياها تحليلًا كميًا، لتحديد طبيعة التوزيع اللساني، جغرافيا ومجتمعيا مع تحديد كثافة التوزيع كما يفعل عالم الجغرافية في دراسة الكثافة السكانية، وطبيعة الانتشار واتجاهاته، ورسم خرائط أولية، وربط الانتشار والتوزيع بالعوامل التاريخية والنزوح، وقد ارتكز "الخطابي" في منهجه على ثلاثة أركان هي: (ينظر: بن عبد الحميد، ص: 38، 39)

الركن الأول: تحديد المجتمع المراد دراسته جغرافيا وتاريخيا.

الركن الثاني: تحديد أبعاد المتغيرات الجغرافية والمجتمعية التي تؤثر في اللسانيات وتصنيف المتغيرات .

الركن الثالث: تحديد حجم العينات بعدد الأشخاص، وتحديد انتمائهم المجتمعي.

و يبدو أنّ التجربة العربيّة ثريّة في مضامينها و مباحثها رغم اختلاف أساليبها في العمل، و ذلك راجع ربّما للتّاريخ الذي كتبت فيه تحديدا، فشتان مثلا بين خرائط ترسم بخطّ اليد و ما يكون فيها من عدم وضوح لما فيها من مصطلحات و رموز و أرقام و حدود، و بين خرائط ترسم عن طريق المطبعة الحديثة باستعمال تقنية الألوان المقابلة للأشكال المختلفة و الرّموز المتباينة .

ثمّ إنّ الدّراسات العربيّة أيضا تميّزت بثنائها المنهجيّ، فمن دراسة تعتمد الوصف و المسح الجغرافي اللّغوي، و من دراسة تعتمد على المنهج الإحصائيّ القائم على تحديد مواطن الكثرة و القلة و الانتقال و التّحويل و من دراسة تعتمد على المنهج المقارن الذي لا يخل من جانب إحصائيّ أيضا في التّمييز بين أماكن الانتشار اللّغويّ اعتمادا على الدّراسات الأنثروبولوجيّة و دراسة المجتمعات و تاريخ هجراتها و استقرارها و نمط حياتها، كلّ ذلك ضمن دراسة عامّة قائمة على المجال اللّغويّ و ما فيه من تعدّد لهجي متنوّع يعدّ من صميم دراسة الأطالس اللّسانية .

خاتمة :

خلاصة ما يمكن أن نصل إليه من نتائج نوجزها في النقاط التالية:

- 1- استعارت اللسانيات من علم الجغرافيا فكرة عمل الأطالس، وأخذت عنها كذلك فكرة توضيح موضع الحدود اللغوية للهجات المختلفة.
- 2- اقتبس علم اللغة منذ أكثر من نصف قرن مضى طرائق علم الجغرافيا، ليضع حدودا لغوية للهجات المختلفة في خرائط تبين مع المك للهجة، وتفرق بين لهجة وأخرى.
- 3- الأطلس اللساني هو طريقة حديثة لتسجيل الظواهر اللغوية على خرائط جغرافية، وذلك عند الحاجة إلى تحديد مناطق تلك الظواهر وبهذا تكون الخريطة إحدى وسائل الإيضاح للظاهرة اللغوية التي لها علاقة بمكان معين.
- 4- يعتبر الأطلس اللغوي نوعا من العرض الجغرافي للغة ممثلة في لهجاتها المختلفة، ويعمل على استكمال الحلقات المفقودة في دراسة حياة اللغات واللهجات وتطورها والتغيرات التي طرأت عليها ومدى اختلاطه بغيره من اللغات.
- 5- كانت بدايات التفكير في عمل الأطالس اللغوية في النصف الثاني من القرن الماضي، وكان من رواد هذا المجال البحثي كل من "فنكر" **wenker** و"جيرون" **Gillieron**
- 6- تشهد الساحة اللسانية الجغرافية العربية حاجة ماسة لإنشاء أطالس لسانية لإثبات التنوعات اللهجية في الوطن العربي، مع الاستعانة بالوسائل التكنولوجية الحديثة لإضفاء الطابع العلمي.

قائمة المصادر والمراجع :

- 1- بكوش الطيب و الماجير صالح ، تمام حسان رائدا لغويا، إعداد وإشراف: عبد الرحمن حسين العارف، القاهرة: عالم الكتب
- 2- بن حميد بن محمد الحميد عبد العزيز ، نحو أطلس جغرافي للجزيرة العربية، المحور الثاني .
- 3- بن عبد الحميد عبد العزيز، ديسمبر 2011م ، علم اللغة الجغرافي بين حداثة المصطلح وأصوله
- 4- عند العرب، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد2، السنة الثانية .
- 5- عبد التواب رمضان ، جمادى الأولى، 1396هـ، ماي 1976م، الجغرافيا اللغوية وأطلس برجشتراسر، القاهرة :مجلة مجمع اللغة العربية، الجزء السابع والثلاثون .
- 6- عبد التواب رمضان ، 1417هـ_1997م ، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، القاهرة: مكتبة الخانجي، ط3 .

- 7- عساكر خليل ،(د.ت)، الأطلس اللغوي، وكذلك رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي .
- 8- عساكر خليل ،1953م، الأطلس اللغوي، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة: مطبعة المعارف، ج7
- 9- عفيفي عبد الفتاح ، 1415هـ، علم الاجتماع اللغوي، القاهرة: دار الفكر العربي .
- 10- ماريو باي، 1998، أسس علم اللغة، تر: أحمد مختار عمر، القاهرة: عالم الكتب، ط8 .
- 11- مصلوح سعد ، 3 يناير/ مارس_ابريل/ يونيو، الكويتن 1994 من الجغرافية اللغوية إلى الجغرافية الأسلوبية، مجلة عالم الفكر، المجلد الثاني والعشرون، ع4.
- 12- مصلوح سعد ، 1976، عن مناهج العمل في الأطالس اللغوية، مجلة دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر، ع:05
- 13- الوعر مازن ، (د.ت)، التفكير اللغوي عند الجغرافيين والرحالة العرب في ضوء اللسانيات الجغرافية المعاصرة، مجلة التراث العربي، ع: 104.

5. قائمة المراجع: طريقة

- المؤلفات: الاسم الأخير، ثم الاسم الأول للمؤلف(ة)، (سنة النشر)، عنوان الكتاب، بلد النشر، (سنة النشر)، الناشر.
- الأطروحات: الاسم الأخير، ثم الاسم الأول للباحث(ة)، (سنة النشر)، عنوان الأطروحة، القسم، الكلية، الجامعة، البلد.(سنة النشر)،
- المقالات: الاسم الأخير، ثم الاسم الأول للمؤلف(ة)، عنوان المقال، اسم المجلة، المجلد، العدد، الصفحات؛(سنة النشر)،
- المداخلات: الاسم الأخير، ثم الاسم الأول للمؤلف(ة)، (تاريخ انعقاد المؤتمر)، عنوان المداخلة، عنوان المؤتمر، الجامعة، البلد؛
- مواقع الانترنت: اسم الكاتب (السنة)، العنوان الكامل للملف، ذكر الموقع بالتفصيل:

http://adresse complète (consulté le jour/mois/année